

قهر الرجال لحظة: اتصال و تحدي و إبداع



الخميس 5 ديسمبر 2013 12:12 م

محمد منصور :

ما بين آونة و أخرى نحتاج إلى مراجعة كلمات إخواننا الكرام أصحاب السبق في هذه الدعوة المباركة ذوي اللمسات التربوية؛ الذين فتح الله لهم أفق الرؤيا الثاقبة و التحليل المميز و وضع العلاج الناجع للظروف و الأوقات الحرجة التي لا نشك أن كل صادق قد عاشها في هذه الأيام و التي جسدت الواقع النفسي الوجداني لمفهوم قهر الرجال الذي استعاذ منه الرسول - صلى الله عليه و سلم - صباح مساء [وقد كان من هؤلاء المرابي الصابر الفاضل ، عاشق السيرة النبوية ، المهندس / حسام حميدة - رحمه الله - إذ قال لنا : (تذكرت حوارا دار لي مع مرجعية إخوانية ممن ابتلوا في ذات الله ، فلقد سألته يوما عن أشد ما كان من ألوان العذاب ، فأمسك بيدي و ضغط عليها بقوة و كأنه يريد أن يسكب ذلك المعني في نفسي قبل أن يكون في أذني و قال : (أقسى عذاب عندما يبكي الرجال الرجال و لا تجد غير البكاء) .

و لا أزعم أنني استوعبت هذه الكلمات في سنوات التزامي الأولي، و لكن شئت إرادة الله أن نعيش تلك المعاني واقعاً فعلياً و نبكي الرجال و لا نجد غير البكاء و يتجسد لنا قهر الرجال [و لكن من خلال تأمل و مسح شامل لسيرة رسول الله ؛ كنت أبحث عن مواقف فعلية لقهر الرجال، عاشها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، فرأيت أنها كانت لحظات صعبة و مؤثرة و لكنها كانت كذلك لحظات اتصال عجيب بعالم السماء و انصهار عجيب للذات؛ عندما لا تجد في عالم الأسباب ما تركز إليه [

فها هو نوح عليه السلام و هو يكابد لحظة من لحظات قهر الرجال (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) القمر/10 و علق علي تلك اللحظة الأستاذ البهي الخولي فقال: (إنها لحظة انصهار وجداني يكون العبد فيها أقرب ما يكون من الله) .

و إننا نلاحظ قوة هذه اللحظة و قوة النفس عندها و هي متجردة و متخلية من كل أسباب الشرك؛ إنها و إن بدت في عالم الأرض لحظة ضعف، فإنها عند الله لحظة قرب و اتصال عجيب لقلب خلا من كل أسباب الشرك [لحظة تستحق أن ينكسر الناموس و يتخلف القانون الأرضي و يخرج عن النسق المعتاد من أجل الانتصار لذلك النبي المنكسر المغلوب؛ فكان الحدث و كان الطوفان انتصارا لإحساس القهر في ذات الله (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) القمر/11 و ألمّ يعش الحبيب محمد - صلى الله عليه و سلم - لحظة قهر الرجال؟ و ألم يحول هذه اللحظة من حالة ضعف و استكانة إلى لحظة اتصال و قرب؟

أخرج ابن اسحاق في رحلة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى الطائف التي لاقى فيها ما لم يره مخلوق منذ خلق الله السموات و الأرض و ذلك عندما خرج من مكة مضطهدا لنشر الدعوة في الطائف و لكنه لم ير في الطائف إلا التكذيب و السخرية و الاستهزاء و الرجم حتى دُوي كعبه الشريف [

نراه في لحظة قهر و تحرر عجيبة عندما يجلس بين مكة و الطائف و ينقل ما في نفسه من حجم هذه المشاعر في عبارته المؤثرة إلى زيد و هو يقول له: (إلى أين يا زيد ؟) ، و عندها لم يجد غير عالم السماء يفزع إليه في لحظة القهر؛ محولا إياها لحظة انتصار و قرب، فمن هناك رفع إلى الله الدعاء: (إليك أشكو ضعف قوتي و قلة حيلتي و هواني على الناس) .

يا أجياب: إننا عندما نعيش صدق و قرب هذه الحالة من التجرد؛ نتعلم و نعلم كم نخسر عندما لا نستطيع تحويل لحظة القهر و التجرد إلى لحظات قرب و اتصال؛ نرفع فيها الدعاء و نتذوق فيها حلوة الانخلاع من عالم الأسباب و الفزع إلى رب الأسباب و عندها فقط نستشعر معني (أقمّ يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف سوءه) . النمل/62

و عندها سيكشف لنا عن سر من أسرار هذا الدين و عن عطاء الله الذي لا يرفع إلى يوم الدين؛ فمن خلال القهر و التمحيص ينصهر فينا كل إحساس بالاستعلاء و نفقد كل إحساس بالأسباب و نتيقن حديث رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : (إنما تُنصرون و تُرْزقون بضعفائكم) .

و فينا سيظل الأشعث و الأغبر و مَنْ لو أقسم على الله لأبره [هذا و تعتبر لحظة قهر الرجال من أروع اللحظات التي تستفز الملكات و تدفع إلى التحدي و المبادرات كما سنعرض في المقال القادم - إن شاء الله - تحت عنوان: قهر الرجال و طاقة التحدي .

